الحلقة (٧)

مفردات هذه الحلقة:

- الحقائق الشرعية وكيفية دلالة الألفاظ عليها
- قدرة الله عز وجل وأنه لا يعجزه شيء
- التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية وهو سبيل أهل السنة
- المعطلة الذين يعرضون عن ما قالهُ الشارع من الأسماء والصفات
- معنى الأول والآخر

مفردة [الحقائق الشرعية وكيفية دلالة الألفاظ عليها]

أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بين لنا أموراً لم تكن معروفة قبل ذلك عندنا وعند الصحابة وليس في لغُتهم لفظ يدل عليها بعينها أتى بألفاظ تناسب هذه المعاني، وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدرٌ مشترك كالصلاة والزكاة والصيام والإيمان والكفر، كذلك الرسول عليه الصلاة والسلام لما أخبر بأمور تتعلق بالإيمان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر، الناس لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك حتى يكون لهم ألفاظ تدل عليها بعينها، أخذ من اللغة الألفاظ التي تناسب لتلك بما تدل عليه من القدر المشترك بين تلك المعاني الغيبية والمعاني الشهودية التي يبصرونها ويعرفونها، وقرن بذلك من الإشارة ونحوها ما يعلم به حقيقة المراد، كتعليم الصبي، كما قال ربيعة الرأي: (الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم).

وما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور الغائبة _على نوعين:

النوع الأول: **فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم** كإخبارهم بأن الريح أهلكت عادا، فإن عادا من جنسهم بشر من مثلهم، والريح من جنس الريح التي عندهم وإن كانت أشد، فهذا فُهم، وكذلك غرق فرعون في البحر، فرعون بشر فلا يحتاجون إلى تبيين لأنه من جنسهم، وكذلك البحر معروف عند الناس، كذلك الأخبار عن الأمم الماضية ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عبرة لنا كما يقول الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}.

o النوع الثاني: **وقد يكون مما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن يشبه مفردات الناس في بعض الوجوه** كما يخبرنا الله سبحانه وتعالى بالأمور المتعلقة به سبحانه وتعالى جل وتقدس في أسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر، فلابد أن يعلموا معنى مشتركا وشبها بين مفردات تلك الألفاظ كما ذكرت الفاكهة في الدنيا والفاكهة في الآخرة هي ليست كما هي في الدنيا، لكن قدرٌ مشترك بينها.

وبين هذه المفردات ألفاظ مما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم، فاكهة الرمان في الدنيا معلوم عند الجميع الرمان الذي ينبت من الشجر وبداخله حب وطعمه حلو، وفي الآخرة من فاكهة الجنة

"الرمان" أخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن أنها من فاكهة الجنة، فـ"رمان في الجنة" ليس كـ"رمان الدنيا"، لكن هناك قدر مشترك بين رمان الدنيا و رمان الآخرة.

كذلك الخمر، هناك خمر محرم وشربه من الكبائر في الدنيا، وهو من لذة أهل الجنة في الجنة، هناك أنهار من خمر، لكنه خمر ليس كخمر الدنيا، فهناك قدر مشترك.

مفردة [**قدرة الله عز وجل وأنه لا يعجزه شيء**]

لكمال قدرته سبحانه وتعالى أخبر الله عن نفسه: {**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، {**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**}، {**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**}، **ويقول الله تعالى:** {**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**} {**وَلَا يَئُودُهُ**} أي: لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك **كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده**، كقوله تعالى: : {**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**}، لكمال عدله، {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} لكمال علمه، وقوله تعالى: {**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**} لكمال قدرته، {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} لكمال حياته وقيوميته، و{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار} لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وإلا فالنفي الصرف لا مدح فيه، [**يعني أنك تنفي نفيا صرفا هذا يعتبر من الذم**] ومن ذلك قول الشاعر قيس بن عمرو يصف قبيلته يقول:

قُبيلةٌ لا يغدرون بذمة *** ولا يظلمون الناس حبة خردل

لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيره بقوله "قُبيلة" عُلم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم.

يعني { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ } الذي يكظم الغيظ هو الذي يستطيع أن يفعل ومع ذلك يكظم غيظه، {الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} من الذي يستطيع أن يعفو هو الذي يستطيع أن يبطش، فلما استطاع أن يبطش عفا فكانت له هذه المنزلة وهي العفو عن الناس، إذن يتبين من قول الشاعر أنه أراد هجاءهم وذمهم بأنهم على قدر كبير من الضعف، ويقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد*** ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

أي شر كان لا يكونون فيه وإن كان سهلا، وإن كان هذا البيت فيه نظر من حيث الدلالات الأخرى له لكن المقصود هنا أن النفي المحض، النفي الصرف هو من الذم، لكن هنا النفي في حق الله سبحانه وتعالى إنما هو لكمال إثبات الضد، فالله سبحانه وتعالى ينفي عن نفسه التعب واللغوب لكمال قدرته، وينفي عن نفسه السِنة والنوم لكمال حياته وقيوميته التي أثبتها لنفسه.

لذلك يأتي الإثبات للصفات مفصلا في كتاب الله، والنفي مجملا، على عكس طريقة أهل الكلام المذموم: **فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل**، يقولون: الله ليس بجسم ولا بشبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا بذي

حرارة ولا برودة ولا يسكن ولا يتحرك ولا يتبعض وليس بجوارح وليس له أعضاء، وليس له جهات، ... كل هذا إنما هو من مخالفة للطريق الصحيح والصواب وهو الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

هذا ما يتعلق بقدرة الله سبحانه وتعالى والكلام على هذه النقطة وهي قدرة الله سبحانه وتعالى و يظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة، وأن هذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، وفيه إساءة أدب مع الله سبحانه وتعالى، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، تريد أن تمدحه، ولا حجام ولست بكذا...، فإنه لن يحمل ذلك منك إلا على سوء الأدب، وإن كنت صادقا، وإنما تكون مادحا إذا أجملت النفي: فقلت أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، وهكذا فتكون أجملت في النفي وأجملت في الأدب.

مفردة [التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية وهو سبيل أهل السنة والجماعة]

التعبير بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة السلف الصالح، لكن المعطلة يعرضون عما قاله الشارع الله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده.

]وأهل السنة و أهل الإيمان الحق يجعلون ما قاله الله و قاله الرسول _ صلى الله عليه وسلم _هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده]. والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضا جمليا أو يبينوا حاله تفصيلا، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، [ولا يحكم به على الكتاب والسنة]

ولعلكم تلاحظون أن ما سيمرُ علينا في المنهج من نقاط صعبة وفيها صعوبة وليست تستصعب على الفهم، إنما هي من قبيل ما أورده أعداء أهل السنة المبتدعة على هذه العقيدة الصافية، وإلا فالعقيدة سهلة ميسرة {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

الله يسر دينه و يسر الأمور التي يجب أن تعتقد فيه سبحانه وتعالى ويسرها للناس، لكن الناس عسروها على أنفسهم وعلى بني جنسهم زعما بأنهم بذلك نزهوا الباري جل وعلا، وإنما هم أوقعوهم في الضلال.

إذن كل ما يأتي من مسألة فيها صعوبة تمر علينا في هذا المنهج، إنما هذه الصعوبة جاءت لبدعة أحُدثت أو لمقالة قيلت، فيها مخالفة للكتاب والسنة، إنما ما جاء به القرآن والسنة هو سهل واضح تقول **في النفي** {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**وتقول في الإثبات** { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير } سهولة ولا يوجد فيها أي صعوبة، إذن هناك نفي وهناك إثبات واضح وليس عليه إشكال، إنما الإشكال جاء من فهم من أعاروا عقولهم لعقول الفلاسفة وأهل الكلام وحشروا عقولهم بمزاحمة النقل الذي جاء عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المقصود: أن غالب عقائدهم [المبتدعة] مبنية على الأسلوب، ليس بكذا، ليس بكذا، وأما الإثبات

فهو قليل، وهي أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات، فإن الله تعالى قال: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، مما أخبرنا به من صفاته، وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه، وكما قال رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب: (اللَّهُمَّ إني أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك..) إلى آخر الحديث الذي أخرجه أحمد وحسنه الحافظ وابن القيم _ في شفاء العليل...، وسيأتي التنبيه على فساد طريقة [المبتدعة] في الصفات إن شاء الله تعالى كما سيأتي في بقية المنهج.

وليس قول الطحاوي: "**ولاشيء يعجزه**" من النفي المذموم، فإن الله سبحانه و تعالى قال قال {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة، فإن العجز إنما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لا يعزُب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير، وقد علم ببداءة العقول والفطر كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجز لما بَيْنَه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

هذا ما يتعلق بالتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة، وكذلك المعطلة إنما يُعرضون عما قاله الشارع من الصفات والأسماء بالسلوب.

مفردة [**وهي معنى الأول والآخر**] وعبر عنه الطحاوي رحمه الله: [**قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء**] وسيأتي الكلام على لفظة القديم، يقول الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} وقال صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء).

فقول الشيخ رحمه الله : " **قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء**" هو معنى اسمه الأول والآخر، وهو من المعاني الناقصة، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعا للتسلسل، وسيأتي مبحث التسلسل إن شاء الله.

فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، هذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن المتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فالواجب الوجود يقصد به الله تعالى لا يقبل العدم، وهذه مقدمة منطقية لا نحتاج إليها.

أيضا يقول الله سبحانه وتعالى: {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**}، فأثبت الضعف للمخلوقين وبضده كمال القدرة والخلق له سبحانه وتعالى وأنه هو الأول فليس قبله شيء، فالله سبحانه يقول: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} أَحَدَثوا من غير محدث أم هم أَحْدَثوا أنفسهم ؟ ومعلوم أن

الشيء المحدث لا يوجد نفسه.

وإذا تأملت غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجدت أن الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.

ولا نقول لا ينفع الاستدلال بالمقدمات الخفية والأدلة الطويلة، فإن الخفاء والظهور من الأمور النسبية، فربما ظهر لبعض الناس ما خفي على غيره، ويظهر للإنسان الواحد في حال ما خفي عليه في حال أخرى.

المتكلمون أدخلوا لفظة القديم وتبعهم الطحاوي رحمه الله مخطئا في ذلك بإدخال هذه اللفظة وجعلها من أسماء الله سبحانه وتعالى.

القديم ليس من أسماء الله الحسنى، لأنه لم يرد به الكتاب ولم ترد به السنة، هذا ابتداء ونكتفي بهذا، ولكن إذا تنزلنا معهم في النقاش والمناقشة فنقول القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن لم يُستعمل في هذا، استعمل في المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد.

لم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: : {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الجديد الثاني، فإن وجد الجديد قيل للأول: قديم، وقيل للثاني جديد، وقال تعالى: : {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}، ، أي متقدم في الزمان.

يقول الله تعالى: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} فالأقدم مبالغة في القدم، ومنه القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله تعالى، وقوله تعالى {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي يتقدمهم.

إذا ظهر لك هذا فإن لفظ القديم لم يكن مستعملاً قبل، فإدخال لفظ القديم في أسماء الله تعالى مشهور عند أكثر أهل الكلام، فقد أنكر ذلك كثيرٌ من السلف والخلف، والحق معهم ومنهم ابن حزم [أنكر ذلك]، ولا ريب أنه إذا كان مستعملا في نفس التقدم، فإنما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم عن غيره.

لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، و قد جاء الشرع باسم الأول، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم، **والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة.**